جدلية فلسفة الجمال عند ابن باجه
مقاربات فكرية

أ.م. د. عمار باسم صالح
كلية العلوم الإسلامية/جامعة بغداد

المقدمة

نحمد الله مستحق الحمد والجمال، ونصلي ونسلم على الرحمة المهداة نبينا الأجل الاكرم وآله الأطهار وصحابته الاخيار.

وبعد: فلا شك أن البحث عن الموجودات بما هي كذلك هو بحث فلسفي بامتياز، وأن التشبه بالإله بقدر الطاقة البشرية هو عين الحقيقة الفلسفية التي رام الفلاسفة جميعا الوصول إليها، وأن المعايير الجمالية التي طرحتها الفلسفة الإسلامية تمثل منبعا ثرّاً اتخذ بعداً كوسمولوجيا لا يستثني نتاجات الفكر الاسلامي الذي اتخذ في الأغلب الصياغة الإبداعية للملفوظ والمكتوب المتجسد في النص القرآني بوصفه منجزا إبداعيا للخالق عز وجل، والذي ترك أثره على المنجز الإنساني وفق الرؤية الإسلامية التي تنبع في الغالب من منهج القرآن الإبداعي وبشكل عبر عن مستوى اهتمام الإنسان المسلم بمعايير الجمال وانعكاساته على الجوانب الفكرية وبما يحقق الأهداف المرجوة في الدعوة الى الدين الحق وعقيدة التوحيد.

وفقا لذلك تم اعتماد الآراء الفكرية والفلسفية الإسلامية الخاصة بتقصي المعايير الجمالية وبحث مقاربتها مع معطيات الفكر الاسلامي عبر الإفادة من المعطيات المتقاربة بينهما من خلال أنموذج رصدناه في بحثنا كي يكون منطلقا في بناء منظومة الجمال والتعرف على سماتها وأبرز خصائصها تلك الشخصية وذلك الانموذج هو الفيلسوف المغربي ابن باجه، لنطرح من خلاله أسئلة حول المعايير الجمالية في المعطيات الفكرية والفلسفية الإسلامية ومدى مقاربتها مع معطيات الإنشاء الجمالي من خلال نموذج (ابن باجه)؟

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تناولنا في المقدمة عنوان البحث والاسباب الموجبة لاختياره وأما المبحث الأول فقد خصص للحديث عن فلسفة الجمال وبيان حقيقتها وطبيعتها والاتجاهات المرصودة لنشأتها، وجاء المبحث الثاني للحديث عن أنواع الجمال وطرائق تذوقه ومعرفته، وأما المبحث الثالث فقد خصص للحديث عن الطابع العام لفلسفة ابن باجه والسمة الجمالية ثم انهينا البحث وختمناه بخاتمة تناولنا فيه أهم نتائجه وأبرز مقاصده.

الباحث

المبحث الأول

فلسفة الجمال، الحقيقة والطبيعة والاتجاهات

المطلب الأول: حقيقة فلسفة الجمال

كثيرة هي الرؤى التي تناولت هذا المفهوم وحاولت استكناه حقيقته، وهي بمجملها محاولات أضحت نظريات لفلاسفة بحثوا في تفسير الجمال تقوم أحيانا على أساس النظام والتماثل والانسجام بين الاشياء، أو تخضعه إلى الأخلاق وتربطه بالاعتدال أحيانا، أو بالخير والمنفعة أحيانا أخرى، وهي بمجملها صورة عقلية تنتمي لعالم المثل،وربما ترتبط بالتآلف والنقاء والإشعاع والتوازن والنظام، أو بتناسق الأجزاء وتناسب الألوان، إلى غيرها من النظريات التي تدلل بلا مزيد شك بأن الجمال فلسفة أرقت الفلاسفة ردحا من الزمن تمثل باليسير، وهذا ما سنحاول أن نميط اللثام عنه هنا.

١ – المعنى اللغوي للجمال :

إن الألفاظ التي تدل على الجمال كثيرة جدا، ومنها البشارة والبهاء والجمال والحسن [١]. وهذه الالفاظ تكون مترادفة أحيانا وتكون علاقتهما أحيانا عموم وخصوص؛ فكل بشير جميل، وليس كل جميل بشيرا،إذ أنَّ البشارة مصطلح يدل على الحسن والجمال،وإن كان قاصرا في الغالب على الوجه؛ فيقال رجل بشير

[١])الازهري، تهذيب اللغة , ٣٥٩/١١.

الوجـه، اذا كـان جميلـه،وامرأة بشـيرة الوجـه اذا كانـت كـذلك أمـا البهـاء فهـو بمعنـى الحسـن والجمـال[٢] . وهـو ذو مـدلول عـام لـيس بقاصـر علـى معنـى محـدد فهـو يتنـاول الموضـوعات الجماليـة المحسـة المدركـة بحاسـة البصـر، و الجمـال ضـد القـبح"[٣] . ويـأتي أحيانـا بمعنـى الحسـن سـواء فيـه حسـن الصـورة او حسـن السـيرة"[٤]" . وهـو يقـع علـى الصـور والمعـاني ومنـه الحـديث (ان الله جميـل يحـب الجمـال)[٥]اي حسـن الافعـال كامـل الاوصـاف)"[٦] . ومـع أن التفسـير اللغـوي لقولـه تعـالى﴿ الرَّحْمَٰنُ الْقُرْآنَ الْوَاقِعَةُ الْحَاقَّةُ الْمُعَلِّقَةُ الْجَانَّ الْمُمْتَحَنَةُ ﴾"[٧] يـذهب إلـى أن الجمـال فـي هـذه الآيـة يعنـي البهـاء والحسـن"[٨] . بيـد أن الجمـال أعـم مـن البهـاء وأن البهـاء لايسـتغرق المعـاني التـي يـدل عليهـا الجمـال كمـا أن الحسـن والجمـال غيـر متـرادفين , وان دل ظـاهر القـول علـى ترادفهمـا"[٩] ولـذلك قيـل الجمـال: رقـة الحسـن , وهـو الحسـن الكثيـر , فوجوده يتعلق بوجود الحسن , فهو تابع له , والحسن منه اعم واشمل .

٢- المعنى الاصطلاحي للجمال :

لـيس فـي مكنتنـا أن نسـتعرض كـل اراء الفلاسـفة حـول مفهـوم الجمـال وحقيقتـه، لسـعة الموضـوع وتشـعبه، ولـذلك سنقتصـر علـى بعـض النمـاذج التـي نقـف مـن خلالهـا علـى المفهـوم العـام لهـذا المصـطلح، اذ تحـدث الفكـر الفلسـفي اليونـاني عـن الجمـال؛ و كـان سـقراط يـرى أن جميـع نشـاطات الإنسـان تسـتهدف هـدفا معينـا، وأنَّ أسـمى هـدف لإعمـال الإنسـان هـو الخيـر المطلـق، وأنَّ الأعمـال يجـب أن تُقـوَّمَ حسـب فائـدتها والهـدف المرجـو منهـا , وهكـذا لا يوجـد الرائـع كصـفة مجـردة للأشـياء أو الظـواهر؛ فالشـيء الرائـع هـو الـذي يفيـد وينفـع مـن اي الوجـوه كانـت، والرائـع فـي رأي سـقراط أمـر

---

[٢])ابن سيده , المخصص, ١٥٤/٢.
[٣])ينظر : ابن دريد ,جمهرة اللغة . ١١٠/٢ , ابن فارس,مقاييس اللغة.,تحقيق عبدالسلام محمد هارون ,ص٤٨١
[٤])التهانوي ,كشاف اصطلاحات الفنون,.تحقيق الدكتور لطفي عبدالبديع،١/.٣٨٤.
[٥]) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ح ٩١.
[٦])ينظر: ابن منظور ,لسان العرب ،١٢٦/١١.
[٧])القران الكريم ,سورة النحل ,الاية :٦
[٨])الفراهيدي ,كتاب العين ,٦ /١٤٢.
[٩]),الجمال في اللغة . ص٤٣

نسبي يتناسب مع النفع والغاية المرجوة منه، وعلى العكس من ذلك فالقبيح والرديء هو الشيء الذي لا جدوى منه "[١٠]"

وذهب أفلاطون إلى أن الجمال ظاهرة موضوعية لها وجودها سواء شعر بها الإنسان ام لم يشعر , فهو مجموعة خصائص اذا توافرت في الجميل عد جميلا، وهكذا تتفاوت نسبة الجمال في الشيء بحسب مدى اشتراكه في مثال الجمال الخالد"[١١]" وبذلك يؤكد أفلاطون ان الجميل هو الذي يشارك الجمال المطلق بجماله"[١٢]", وان أجمل الأشياء أحبها إلى القلب"[١٣]"، وعليه فالشيء الرائع بالنسبة لأفلاطون لا يوجد في عالمنا الأرضي بل يوجد في عالم الأفكار ، عالم المثل ،وبما ان للرائع صفة ما فوق الحواس، فلذلك لا يمكن ان نعرف الرائع بحواسنا بل بالعقل"[١٤]" وقد انتقد ارسطو طاليس فلسفة افلاطون المثالية بعامة ونظرياته حول الجمال بخاصة، وذهب الى ان اهم معايير الرائع هو الترتيب والتناسب والوضوح، وهو يعد ان علوم الرياضيات تظهر لنا بشكل واضح هذه الميزات، وان أسمى تعبير عن الرائع يتمثل في المخلوقات الحية خاصة الانسان .

فالإنسان بانسجام شكله وتناسب أجزائه هو بحد ذاته تعبير عن الرائع ونموذج رئيسي له"[١٥]"، ويذهب الفارابي في تحديده في معنى الجمال في الموجودات إلى أن الجمال والبهاء والزينة في كل موجود هو ان يوجد وجوده الافضل , ويحصل له كماله الاخير"[١٦]"

وأمَّا الغزالي، فانه يقدم تعريفات كثيرة للجمال فيقول : كل شيء فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له؛ فاذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال؛ وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما

[١٠])م.اوفيسناكوف وسمير نوفا . موجز تاريخ النظريات الجمالية ,تعريب باسم السقا , ص١٧.
[١١])الدكتور علي شلق ,الفن والجمال, ص١٧.
[١٢])ينظر:افلاطون , فيدون, ضمن محاروات افلاطون .ترجمة زكي نجيب,ص١٨٣.
[١٣])ينظر افلاطون , جمهورية افلاطون ,ترجمة حنا خباز ، ص٩٦.
[١٤])اوفيسناكوف , موجز تاريخ النظريات الجمالية ,ص٢١.
[١٥])اوفيسناكوف , موجز تاريخ النظريات الجمالية ، ص٢٣ .د. اميرة حلمي مطر .فلسفة الجمال ، ص٧٧.
[١٦])الفارابي , اراء اهل المدينة الفاضلة .تحقيق الدكتور البير نصري نادر، ص٣١ .

حضر"[١٧]"، وعليه فان الجمال عنده هو الكمال اللائق بالأشياء الممكن لها والشيء الجميل : هو الشيء الحاضر فيه الكمال اللائق به الممكن له.

وأما الجرجاني فيقول (والجمال من الصفات ما يتعلق بالرضاء واللطف)"[١٨]" اي أنه اشترط في تحقق وجود الجمال أن يكون شيئا لطيفا ويحقق الرضا عند الانسان مما يؤدي الى وصفه بالجمال. ولا ريب في أن الرضا دليل تحقق لذة . وعليه فان الجمال يتحقق وجدوده بتحقق وجود اللذة . ومن شروط تحقق وجود اللذة وجود مدرك ومدرك . واذا فهذه من شروط وجوده" .والجميل هو مظهر لتجلي الفكرة في المحسوس ومن هنا نجده يصرح بالقول (عندما نقول اذا ان الجمال فكرة نقصد بذلك أن الجمال والحقيقة شيء واحد فالجميل لابد بالفعل ان يكون حقيقيا في ذاته .... بقدر ما يبقى المفهوم غير قابل للانفصال عن تظاهره الخارجي فان الفكرة لا تكون حقيقية فحسب بل جميلة كذلك على هذا النحو يتحدد الجميل بانه التظاهر الحسي للفكرة)"[١٩]"

المطلب الثاني: طبيعة الجمال واتجاهاته

من المتفق عليه عند العقلاء أن الاشياء كلما كانت أكثر لصوقا بالمعاني فإن الوصول الى كنه حقيقتها لا يتم الا عن طريق الدلائل العقلية بخلاف الاشياء المشاهدة المحسوسة فان الامر فيها يسير فيكفي أن تتوجه اليها النفس العاقلة من خلال نوافذها الى الخارج لتقف على حقيقتها.

من هذا المنطلق فان فكرة الجمال هي من الأشياء المعنوية الا انها ليست مثل غيرها من المعاني المحضة التي لا علاقة لها بالمحسوسات بل الجمال فكرة معنوية منتزعة من عالم الحس ومن هنا فان الجمال كفكرة عامة ربما لا يحتاج إلى ذلك خصوصا عندما يتعلق الأمر بكونه موجودا دون ان يكون لوجوده صلة بالموجودات كما يذهب أفلاطون في حديثه عن

[١٧])الغزالي ،احياء علوم الدين .٤/ ٢٩٨_ ٢٩٩ .
[١٨])الجرجاني ,كتاب التعريفات , ص٨٢.
[١٩])هيجل , فكرة الجمال . ٣٣/١.

الجمال بالذات في عالم المثل ومن هنا نجد أن الكثير يعتقدون أن الجمال بوجه عام وعلى وجه التحديد من حيث هو جمال غير قابل لان يحبس في مفاهيم ويبقى بحكم ذلك موضوعيا يعجز الفكر عن إدراكه.

ويأتي الحديث عن طبيعة الجمال بيانا لذلك الوجود هل هو وجود ذاتي او موضوعي ولماذا هذا الاختلاف في الحكم على جمال الأشياء .

من هنا يمكن حصر الحديث عن الجمال في ذكر الاتجاهات التي سلكها الفلاسفة في القديم والحديث، وعلى النحو الاتي:

الاتجاه الاول : وهو الاتجاه الذي يؤكد على استقلالية الجمال وأنه صفات وخصائص عينية موضوعية مستقلة عن العقل يدركها , وهذا يشير الى ان وجود الجمال متحقق وثابت سواء ادركناه ام لم ندركه لان وجوده غير متعلق بالإدراك ولهذا يتفق في تذوقه والاستمتاع به جميع الناس في كل زمان ومكان . فالشيء الجميل يقوم بالقياس الى مافيه من خصائص تثير الاعجاب جماله . والقول بان الاحكام الجمالية موضوعية وليست ذاتية منحدر الى افلاطون قديما "[٢٠]"

الاتجاه الثاني : وهو بالضد من الاتجاه السابق فهذا الاتجاه ينكر ان يكون للجمال وجود موضوعي مستقل؛ لان وجوده يرتبط بالقوى التي تدرك فان لم يكن ادراك فلا وجود للجمال؛ فالجمال معنى عقلي وليس صفة ذاتية تقوم في الاشياء ومن هنا نجد ان تصور الجمال يتغير من عصر الى عصر ومن جنس الى جنس وقد يختلف باختلاف الافراد في المكان الواحد والبيئة الواحدة"[٢١]" وفي هذا الصدد يقول الغزالي إن الحسن والقبح عباراتان عند الخلق كلهم عن أمرين إضافيين يختلفان بالإضافات لا عن صفات الذوات التي لا تختلف بالإضافة فلا جرم جازم أن يكون الشيء الحسن

[٢٠])ينظر توفيق الطويل، اسس الفلسفة، ص٤٥٦_٤٥٧.
[٢١]) المصدر نفسه،ص٤٥٧.

في حق زيد , قبيحا في حق عمرو ولا يجوز أن يكون الشيء اسودا في زيد ابيضا

في حق عمرو لما لم تكن الألوان من الأوصاف الإضافية"[٢٢]" .

الاتجاه الثالث : هو اتجاه وسط بين الاتجاهين السابقين وحاول أن يوفق بينما؛ فاعتقد اصحابه بأن الجمال يتحقق بعلاقة معرفية بين ذات مدركة وموضوع مدرك أي أن الجمال علاقة بين الشيء الجميل والعقل الذي يدركه ذلك؛ فالجمال ليس ذاتيا محضا ولا موضوعيا خالصا ولكنه مزيج من الذاتية من الموضوعية معا فالإنسان لا يستمتع بجمال شيء خلو من الجمال لان الجمال ليس نشاطا عقليا خالصا اذ انه لا يتوقف على العقل الذي يتذوقه وحده ولا على الشيء الذي يحل فيه وحدهبا هو عبارة عن علاقة الإنسان الذي يتذوق بالشيء الذي يحل فيه"[٢٣]"

[٢٢])الغزالي , الاقتصاد في الاعتقاد , ص١٦٣.
[٢٣])توفيق الطويل, اسس الفلسفة,ص٤٦

المبحث الثاني
أنواع الجمال وتذوقه
المطلب الأول
أنواع الجمال

إن الحديث عن أنواع الجمال بحسب الموجودات سيؤدي بنا إلى تفصيلات جزئية كثيرة جدا لكثرة وتنوع الموجودات، ولهذا سوف نقتصر على الأنواع العامة للجمال التي تنضوي تحتها باقي الأنواع، وهي الجمال الإلهي، والجمال الطبيعي، والجمال الفني .

١- الجمال الإلهي :

أفاض الفلاسفة اليونان في حديثهم عن الجمال الإلهي الذي اصطلحوا على تسميته بالجمال المطلق، وممَّا أثر عن أفلاطون قوله: (لو كان هنالك شيء جميل غير الجمال المطلق لما شككت في استحالة أن يكون ذلك الشيء جميلا الا بمقدار مساهمته في الجمال المطلق)"[٢٤]" وهذا الجمال المطلق او الجمال بالذات او الجمال الجوهري بإزاء مواضيع الجمال العديدة يمتاز بأنه: (جمال خالد لا يخضع لكون أو فساد، ولا يجوز عليه نمو أو ذبول، كما أنه ليس جميلا في ناحية من نواحيه،وقبيحا في ناحية أخرى، وليس جميلا بالنسبة الى شيء قبيحا بالنسبة إلى شيء آخر جميلا في مكان، وقبيحا في مكان آخر، ولا يختلف باختلاف الناظرين إليه، ولا باختلاف الجهة التي ينظرون منها، ولا تجد له شبيها في جمال وجه،أو جمال يدين أو جمال جسم،أو شبيها بجمال فكرة،أو علم وليس له شبيه في غير ذاته سواء، أكان كائنا حيًّا في السماء أو على الأرض، أو في أيِّ مكان آخر؛ بل هو جمال مطلق لا يوجد إلا بذاته)"[٢٥]"

وعند فلاسفة الإسلام؛ فإن الجميل المطلق هو الله الذي هو في أزلية، وليس في عالم الزمان والمكان؛ لذلك فهو لا يتغير ولا يتبدل، وجماله مطلق وأزلي وأبدي، وغير خاضع للتغير وغير مرتبط بزمان أو مكان.

[٢٤])افلاطون , فيدون , ص١٨٣.
[٢٥])المصدر نفسه، ص١٨٨

فالفارابي يعتقد بان الله تام الجمال"[٢٦]" وأنه أجمل من كل الموجودات، وليس في الوجود جمال يضاهي جماله؛ لذلك يقول: واذا كان الأول وجوده أفضل الوجود بجماله، فائق جمال كلِّ ذي جمال، وكذلك زينته وبهاؤه"[٢٧]" . وعنده أن ادراك جماله يؤدي إلى تحقق لذة عند مدرك ذلك الجمال؛ لكن افراط كماله وبهائه يبهرنا؛ فلا نقوى على تصوره على التمام"[٢٨]" .

٢ –الجمال الطبيعي :

إن الجمال الطبيعي هو الجمال المتعلق بالموجودات في الكون سواء أكانت موجودات حية كالإنسان والحيوان والنبات أم موجودات غير حية كالجمادات، وهو جمال قديم وأبدي عند القائلين بقدم العالم وأزليته وأبديته، وحادث عند القائلين بحدوث العالم وامكان نهايته، وهذا الجمال يمتلك قيما جمالية وحسية وشكلية ومضمونية، وهو قابل للادراك بوسائل المعرفة الحسية والعقلية، وينتج عن ذلك الادراك تحقيق اللذة الجمالية غير أن تلك الموجودات تختلف بعضها عن البعض الاخر، وتتعدد بأشكالها وألوانها وأحجامها وأصواتها وبما أن لكل شيء جماله الخاص به، وكماله اللائق بوجوده؛ فإنَّ ما يحسن به موجود، ما قد لا يحسن به موجود آخر .

وقد اهتم بدراسة هذا الجمال والتأثر به ومحاوله فهمه والتعبير عنه معظم الفلاسفة والمفكرين والعلماء والادباء؛ فقد ادرك الشاعر الجاهلي جمال الطبيعة وما تمتلكه من قيم جمالية موضوعية لفتت نظره إليها، وأثارت اعجابه واهتمامه من خلال تناسقها وانسجامها وهيئاتها، وما تحتويه من وحدة تؤلف بين أجزائها، وتخفي ما فيها من تعدد أو اختلاف وهذا الأمر بالنسبة للشعراء بخاصة، والأدباء بعامه"[٢٩]"

والله سبحانه وتعالى هو الخالق والمصور لهذا العالم، وهو بديع السماوات والأرض، وكلُّ نظام وترتيب وحسن وجمال في هذا الكون إنَّما هو من الله؛

---

[٢٦])ينظر : الفارابي , اراء اهل المدينة الفاضلة ,ص٤٠.
[٢٧])المصدر نفسه، ص٥٢.
[٢٨]) ينظر : د.محمد محمود الكبيسي , الجمال عند الفارابي ،ص٣٤١.
[٢٩])عبدالحسن حسن خلف , القيم الجمالية في الشعر العربي قبل الاسلام , رسالة ماجستير في اللغة العربية , كلية الاداب جامعة بغداد , ١٩٨٣,ص٣٢٤_٣٢٥

فالجمال الطبيعي مخلوق، وفي الطبيعة موجودات كثيرة وجميلة منها الانسان الذي خلقه الله في احسن تقويم. وهكذا يستطيع الناظر في القران الكريم ان يدرك من خلال آياته جمال السماء وما فيها وبهجة الارض وزينتها وما عليها من كائنات جميلة ولا شك في ان فلاسفة الاسلام قد افادو من القران الكريم في مواقفهم من الكون والموجودات فيه ومنهم الغزالي الذي يذهب الى ان الجمال الالهي سبب لوجود الجمال الطبيعي ولا وجود للجمال الطبيعي لولا وجود الجمال الالهي .. اذ (لاخير ولا جمال ولا محبوب في العالم الا وهو حسنة من حسناته واثر من اثار كرمه وغرفة من بحر وجوده بل كل حسن وجمال في العالم ادرك بالمعقول والابصار والاسماع وسائر الحواس من مبتدأ العالم الى منقرضة ومن ذرة من خزائن قدرته ولمنعة من انوار حضرته)"[٣٠]

٣ –الجمال الفني :

يذكر الباحثون أن حقيقة الجمال الفني تتمحور حول ذلك الجمال الذي يتصل بالفنون بكل أنواعها السمعية منها والبصرية وغيرها، و يشيرون الى ان الصلة وثيقة بين هذا الجمال والجمال الطبيعي؛ فالكثير من الفنانين يتأثرون بجمال الموجودات في الكون وما في الطبيعة من قيم جمالية وحسية وشكلية، ويحاولون التعبير عنها في فنونهم المتنوعة[٣١] وقد ذهب اليونان الى ان الجمال الطبيعي هو عبارة عن محاكاة للجمال المطلق كما ان الجمال الفني هو في حقيقة الأمر محاكاة للجمال الطبيعي، وهناك من يرى انه بالإمكان الافادة من الطبيعة وما فيها من جمال ولكن لاينبغي ان يكون تقليدا مطابقا لها بل ينبغي الاضافة اليها في حين يذهب اخرون الى من الضروري ان يبدع الفنان دون ان يتقيد بالطبيعة وجمالها وان تتاح الفرصة لخيالة الفني ان يأخذ مجاله ومداه وحريته في التعبير ان اي شيء[٣٢].

[٣٠])الغزالي , احياء علوم الدين ،٢ / ٢٨٠.
[٣١]) سرحان، الخبرة الجمالية. ص ٣٣ وينظر د. زكريا إبراهيم ،"فلسفة الفن" ص ١١٦ - ١٢٠.
[٣٢]) مجاهد ،دراسات في علم الجمال. ص ١١٩.

المطلب الثاني

التذوق الجمالي

سبق الحديث بأن الجمال بأنواعه المتعددة يثير فينا حالة من حالات الرضا والقبول سواء أكان الموضوع الجمالي مدركا بحاسة البصر،أو السمع؛ فالتذوق الجمالي أو الفني يتحقق نتيجة لعلاقة معرفية بين ذات مدركة وموضوع مدرك وعندما يدرك الانسان ببصره الألوان والأشكال؛ فإنه يحقق معرفة حسية بصرية متعلقة بجمال الصورة الظاهرة وما تتضمنه من قيم جمالية حسية وقيم جمالية شكلية، ويتبع تلك المعرفة تحقيق لذة تتعلق بالموضوع الجمالي الفني أو الطبيعي كذلك الامر بالنسبة لحاسة السمع؛ فإنَّنا يمكن أن نحقق لذة جمالية نتيجة لإدراك الاصوات الطبيعية والفنية ومن هنا نجد ان الغزالي يقول(فلذة العين بالأبصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة)"[٣٣]" لكنه يرى ان الناس يختلفون بالذوق الذي يكون به الابداع وادراك مواطن الجمال في الاشياء (فانظر الى ذوق الشعب كيف يختص به قوم من الناس وهو نوع احساس وادراك ويحرم عنه بعظهم حتى لا تتميز عندهم الالحان الموزونة من المنزحفة . وانظر كيف عظمت قوة الذوق في طائفة حتى استخرجوا منها الموسيقى والاغاني ... واما العاطل عن خاصية الذوق فيشارك في سماع الصوت وتضعف فيه هذا الاثار)"[٣٤]" كما يرى ان (مبدا درك الجمال المطلوب النظر وتحديق بصر العين نحوه اعراض عن سائر المبصرات)"[٣٥]" ولذلك يقول واضعا في قوله معيارا للحكم الجمالي على الاشياء والمواقف الفني الصحيح منها والتذوق الجمالي لها ان (لذة النظر الى وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت بأسباب احدهما كمال جمال المعشوق ونقصانه

[٣٣])الغزالي , احياء علوم الدين , ٢٩٦/٤.
[٣٤])الغزالي , مشكاة الانوار , ص٧٨.
[٣٥])الغزالي ،ميزان العمل . ص٤٠٢.

والثاني كمال قوة الحب والثالث الادراك والرابع اندفاع العوائق المشوشة والالام الشاغلة للقلب)"[٣٦]"

واذا كان الفلاسفة قد تحدثوا عن مفهوم اللذة؛ فإنهم يميزون بين اللذة الجمالية وغيرها من أنواع اللذات؛ فاللذة الملموسة تكشف عن عالم الغريزة ولذة الفهم تجدد استعدادي العقلي للدخول في عالم الافكار أمَّا اللذة الجمالية؛ فهي التي تشهد بأنَّي استطيع الوصول إلى عالم الفن، وهي بهذه الصفة قادرة على ارشادي عما يتعلق بهذا العالم نفسه، وهي لذة مربكة لكل من الجسد والروح نصيب فيها ولهذا السبب تارجح الفلاسفة دائما بين الحسية والعقلية"[٣٧]" .

المبحث الثالث

الطابع العام لفلسفة ابن باجه والسمة الجمالية

توطئة

ليس بين أيدينا آثار لابن باجه تتيح لنا أن نبسط آراءه بالتفصيل في موضوع الجمال بيد أن ما يهمنا هنا هو البحث عن السمة الجمالية التي قد نقف عليها وكل قارئ لفلسفته، وبما أن فيلسوفنا قد كان عالماً بالموسيقى؛ لذا فهو يحمل طابعاً جمالياً رقيقاً، ويمكن القول بان الرؤية الجماليةالباجوية كما يحلو لنا تسمية فلسفة الجمال عند ابن باجه بها تنطلق من مسلمة اساسية هي ضرورة تحقيق الكمال في الشيء، ولم يكن من المستغرب أن يطرح الفكر الفلسفي العربي–الإسلامي في هذا الاطار مفهوم الإنسان الكامل؛ وهو الفكر الذي جعل من الكمال جوهرًا ومحورًا لمنظومته المعرفية والقيمية. ولم يكن من المستغرب أيضًا أن يرى في الإنسان الكامل مثلاً أعلى في الجلال والجمال، على الصعيد الإنساني. فكل المقدمات المنطقية كانت تؤدي إلى ذلك. مما يعني أن هذا المفهوم هو نتاج طبيعي منطقي لبنية فكرية وجمالية تتمحور حول الكمال وتتأسس عليه[٣٨].

[٣٦])الغزالي , معارج القدس في مدارج معرفة النفس , ص١٣٩.
[٣٧])ينظر: جان برتليمي , بحث مقدم في علم الجمال , ص٣٨٠_٣٨٥.

[38] محمد عابد الجابري، نحن والتراث، ص ٣٠.

من هذا المنطلق سوف تتم دراسةموضوع الجمال كما رآى فلسفة ابن باجه من خلال المطالب الاتية:

المطلب الاول: الوظيفة الاجتماعية في صياغة فلسفة الجمال عند ابن باجة

تؤدي الأبنية المختلفة الأشكال وظائف متعددة تعمل على تلبية الحاجات الإنسانية الأساسية، علما أن علاقة الشكل بالوظيفة ليست علاقة مباشرة؛ بل هي علاقة جدلية تعتمد على العنصر الرابط بين هذين المفهومين وهو الإنسان، فالأبنية الخاصة والعامة ذات الوظائف المختلفة ما هي إلا نتيجة لقرارات إنسانية متعددة تم اتخاذها في أزمنة وظروف مختلفة لتلبية حاجات معينة ولذلك يخضع الهيكل الوظيفى لمعظم الأبنية او الأمكنة الى التغير الدائم تحت تأثير تغير القيم والحاجات الاجتماعية والظروف والمحددات التقنية والثقافية.

من هنا كان للوظيفة الاجتماعية حضور متميّز وفعَّال عند القائلين بالشكل الاجتماعي، إذ بدا أن الإنسان الكامل يوجد، في الأساس، من أجل المجتمع. فهو الذي يخلِّص المجتمع الإنساني من المفاسد والنقائص والشرور، ويسير به إلى الكمال، فيكون مجتمعًا مماثلاً، بحق، لمجتمع السماء. ولهذا فقد اعتبره الفارابي "العضو الرئيس" في مدينته الفاضلة، واعتبره إخوان الصفا والكرماني – والفكر الشيعي عامةً – على أنه الإمام، ورأى فيه ابن باجة إنسانًا إلهيًا.

يحدِّد الفارابي إنسانه الكامل "العضو الرئيس" بعدة سمات منها ما هو عقلي، ومنها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو فردي[٣٩].

فمن الجانب العقلي، يُشكِّل الاتصال بالعقل الفعَّال جوهرًا لا غنى عنه في تحديد الإنسان الكامل. فإذا كان الاتصال يتمُّ بالمخيلة، فإن هذا الإنسان يكون نبيًا، وإذا تم بالعقل المنفعل فإنه يكون فيلسوفًا حكيمًا. وفي الحالين فإنه في أعلى المراتب الإنسانية، وفي أعلى درجات السعادة. وغنيٌّ عن البيان أن هذا لا يكون إلا إذا كان العقل والعاقل والمعقول، في الإنسان الكامل، شيئًا واحدًا. وهذا، كما هو معلوم، من السمات الإلهية عند الفارابي. أي أن الجانب الإلهي جوهري في وجود الإنسان الكامل، غير أنه ليس كافيًا لكي يكون هذا الإنسان عضوًا

[٣٩]الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص ٦٢ – ٦٧.

رئيسًا، فلا بد من أن يحصل له اثنتا عشرة خصلة أو صفة ذات بعد اجتماعي وفردي، تتمحور كلُّها حول الكمال الحسي والمعنوي، ونذكر منها: قوة الأعضاء وتمامها، جودة الفهم والتصور والفطنة، حُسن العبارة، محبة الصدق والكرامة والعدل، قوة العزيمة والجسارة، والزهد بالشهوات كافة. وقبل هذه الخصال، لابد من توفُّر أمرين اثنين، هما: أن يكون بالفطرة والطبع مُعَدًّا لهذه الخصال، وبالمَلَكة الإرادية أيضًا[٤٠].

وبهذا فإن المجتمع الفاضل يتأسَّس أولاً على الإنسان الكامل الذي يمدُّه بالكمال القِيَمي.ولأن الفارابي يَعي أن وجود مثل هذا الإنسان أمرٌ في غاية الصعوبة، وغير متيسِّر للناس كافة، فإنه يقرِّر أناجتماع هذه كلها في إنسان واحد عُسْرٌ، فلذلك لا يوجد مَنْ فُطِر على هذه الفطرة إلا الواحد بعد الواحد والأقلُّ من الناس.وهو ما يدفع الفارابي إلى أن لا يرى مانعًا من أن تتوزَّع هذه الخصال على عدَّة أشخاص. وحين لا يتيسر مَنْ هو خليقٌ بها، يكون المجتمع قد دَخَلَ طورَ الهلاك.

ولا يختلف الإمام، من حيث الجوهر، عن العضو الرئيس. فكلاهما يستعلي على ما هو مادي وشهوي، ويتصل بالروحانيات أو العقل الفعَّال، ويتصف بالكمالات الإنسانية. يقول إخوان الصفا:وهو الذي صحَّت آلاتُه وكَمُلَت له ذاته وخَلَع سوءَ عاداته، صحَّت له القوةُ المتخيلة وصَدَقَتْه فيتخيل بها الأشياء الغائبة عنه بالزمان والمكان، ثم يتصورها وينظر إليها، ويخاطبها، ويقبل عنها إذا أجابته، فيكون بذلك مستحقًا للمنزلة العالية والرتبة السامية[٤١]على الرغم من أن ابن باجة يتوافق بعامةٍ وما طرحه الفارابي، إلا أنه، في نظرته إلى الإنسان الكامل، أقلُّ مثالية وطوباوية. فقدنظر ابن باجة إلى مشروع الفارابي الحالم بعين الواقعية التي أملتها عليه أوضاع مجتمعه، فعاش حلم الماضي، حلم الفارابي، كحلمٍ للمستقبل ولكن بصورة أكثر كمالاً.حيث تخفَّف من مركزية الإنسان الكامل بالنسبة إلى المجتمع، وجعله مرتبطًا بالحصول على الكمال العقلي النظري، مما يوحي بنبرة فردية على الرغم من انضوائه تحت الشكل الاجتماعي. يقول:الإنسان الكامل الفطرة هو الذي فُطر على أن يكون

[40] المصدر نفسه، ص ٦٢.
[41] المصدر نفسه، ص ٧٠١.

لنفسه[٤٢].غير أن هذه النبرة الفردية هي نبرة الاغتراب والتوحُّد لا نبرة الغنوص. وهو ما دفعه إلى أن يرى في الناس الكُمَّل متوحدين أو نوابت في مجتمع النقائص والفساد.وعلى أية حال، فإن ابن باجة يرى أن الاتصاف بالفضائل الشكلية أمرٌ بدهي وضروري في الإنسان الكامل. حيث يقول:لذلك كان الإنسان الإلهي ضرورة فاضلاً بالفضائل الشكلية فإنه إن لم يكن فاضلاً بهذه الفضائل وخالفت النفسُ البهيمية فيه العقل، كان ذلك الفعل إما ناقصًا أو مخرومًا أو لم يكن أصلاً[٤٣].

ولكن هذه الفضائل ليست غاية في ذاتها، بل هي إحدى الوسائل الضرورية للوصول إلى السعادة القصوى التي لا يمكن بلوغها من دون الاتصال بالعقل الفعَّال. يقول ابن باجة في ذلك:وإذا بلغ الغاية القصوى، وذلك بأن يَعْقل العقول البسيطة الجوهرية... كان عند ذلك واحدًا من تلك العقول، وصَدَق عليه أنه إلهي فقط[٤٤].

وعلى الرغم من أن ابن باجة قد تخفَّف من مركزية الإنسان الكامل التي نراها عند الفارابي، إلا أن هذا لم يمنعه من القول مخاطبًا إنسانه الكامل:كل إنسان وكل موجود كائن فاسد نحوك، وبوجودك صار أولئك موجودين وبوجودك أولاً صرتَ أنت كائنًا[٤٥].فلا فضل لأحد عليه، وله الفضل كلَّه على الجميع.

المطلب الثاني: نظرية النفس والمعرفة وجانبها الجمالي

من يستقرئ النتاج المعرفي للفلاسفة المسلمين سيقف على تأصيل معرفي منقطع النظير لمسألة النفس وخلودها لتعلق هذا المبحث بالإنسان اولاً واخيراً ، فهي تبحث مصير الانسان ومآله وهل النفس خالدة ام فانية بما يرسم صورة واضحة المعالم عن الصور الجمالية التي ارتسمت فيها النفس الخالدة المتنعمة في قبال الصورة الشقية المعذبة ومن خلال الاطلاع على تدبير المتوحد الذي يعد من اجل كتب ابن باجه "وتحليل هذا الكتاب"[٤٦] . نجد انه في

---

[42] ابن باجة، رسائل ابن باجة الإلهية، تحقيق ماجد فخري، ص ١٢٨.

[43] ابن باجة، رسائل ابن باجة الإلهية، تحقيق ماجد فخري، ص ٤٨.

[٤٤] المصدر نفسه، ص ٧٩ – ٨٠.

[45] المصدر نفسه، ص٨٢.

[٤٦] حلل هذا الكتاب موسى الباروني في احد كتبه العبرية ، ونقله المستشرق الاسرائيلي سلمون مونك في كتابه الفلسفي اليهودية والعربية..

الفصلين السادس والسابع من هذا الكتاب يسهب (في تحليل الصور الروحانية والافعال التي تلتئم معها والغايات التي تتجه اليها مشيراً الى ان هذه الغايات ليست مقصودة لذواتها ، بل هي وسائل للغاية النهائية ، ولهذا لا ينبغي للمتوحد ان يرمي إلى تلك الغايات المتعددة ، بل يجب عليه ان يوحد جهوده للسعي إلى الغاية الاخيرة)[٤٧]

والسعادة الاخرويةهي جوهر الجمال الذي ينشده ابن باجه، ولما كان ابن باجه يرى ان السعادة لا تكون الا للنفوس الطاهرة فهويقول (والنظام والترتيب في افعال الانسان انما هو من اجل الناطقة ، وهما للناطقة من اجل الغاية التي جرت العادة ان يقال لها العاقبة)[٤٨].

ويعرف ابن باجه النفس الانسانية بحسب الغاية التي تسعى لتحصيلها (فالغايات التي تحدد افعال الانسان على ثلاث مراتب فهي اما ان تخص الصورة الهيولانية، او الصورة الروحانية الخاصة أوالصور الروحانية العامة ، والانسان يرتقي ويسمو بواسطة التعقل والفكر من مرتبة إلى اخرى من هذه الصور من التعددية الهيولانية إلى الوحدة الروحانية، أي من الكثرة إلى الوحدة او من الخصوصية إلى العمومية الكلية . وعليه فان التعقل هو المحرك الاول في الانسان حقيقة وواقعاً وهو أي التعقل قائم في كل فعل موجه نحو هذه الغايات)[٤٩] ولتفصيل ذلك يقول ابن باجة (ان لم تستعمل الفكرة كان ذلك فعلاً بهيمياً)[٥٠] وهذه هي "غاية الحيوان ، وكذلك غاية الإنسان الذي تسيره بهيميته ، هي النوع الاول من "مراتب الصور" . واما النوع الثاني فهو كمالات شكلية وهي التي "يمكن ان يشترك فيها الحيوان ولكنها لا توجد الا للنوع كالنجدة والحياء للأسد فهي لا تختص بأسد واحد بل بكل الأسود"[٥١] . واما النوع الثالث وهو الكمالات الفكرية التي يحددها ابن باجه فيقول (والروية والبحث والاستدلال وبالجملة فالفكرة تستعمل في نيل كل واحد منها)[٥٢].وهذه الكمالات الفكرية هي (احوال خاصة بالصورة الروحانية الانسانية، لا شركة لغيرها فيها من الكائنات الحية ، وذلك كصواب الرأي وجودة المشورة وصدق الظن وكثير من المهن والقوى التي الانسان مختص بها كالخطابة وقود

[٤٧]محمد غلاب ، الفلسفة الاسلامية في المغرب ، ص٣٣ .
[٤٨]ابن باجة ، تدبير المتوحد ، ص٦٩ ..
[٤٩]د. معن زيادة ، الحركة من الطبيعة إلى ما بعد الطبيعة ، ص١٣٢.
[٥٠]ابن باجة ، تدبير المتوحد ، ص٩٥.
[٥١]د. معن زيادة ، الحركة من الطبيعة إلى ما بعد الطبيعة ، ص١٣٢ .
[٥٢]ابن باجة ، تدبير المتوحد ، ص٩٥.

الجيش والطب، وتدبير المنزل وغير ذلك " ويؤكد ابو بكر بأن "الحكمة الفلسفية " هي اكمل الصفات الروحانية الإنسانية اطلاقاً الا عند من لا يعلمها فالأعمال الفكرية اذن هي جميع العلوم، الا ان الحكمة الفلسفية هي الكمال المطلق بالمعنى الصحيح للكلمة)[٥٣]. وهي السبيل إلى الخلود كما يقول بن باجه (واما هذه الافعال الفكرية والعلوم فهي كمالات باطلا قولا تقال بتقييد . وهي مختصة بالإنسان ، لا يشترك فيها غير الانسان ، وهي اما ان تعطي الوجود الدائم او تصل به)[٥٤]

ويحدد ابن باجه طريقتين لبلوغ الخلود هما:

اولا – عندما نبحث في العقل او الصورة الروحانية العامة نجد ان موضوعها الذي توجد به هو واحد ، رغم انه يبدوا وكأنه مشترك لأكثر من واحد... ومن الواضح ان الوصول إلى المفهومات الكلية المتأتية عن التعقل يختص بها الانسان وحده وقدرة الانسان على الوصول إلى المفهومات الكلية تؤدي به إلى الخلود)[٥٥].

اما الطريقة الثانية : (التي يعرض لها ابن باجة في كتاب التدبير تعبر عن طبيعة تفكير الفيلسوف اكثر من غيرها ، فهو يستخدم فيها نظرية الارتقاء بكاملها حيث تزول الحواجز بين الارض والسماء ، وبين الهيولانية والروحانية من اجل بلوغ الانسان الخلود والوجود الدائم وطبيعة الانسان ان هي في الواقع إلا حلقة وصل متوسطة بين الوجود الدائم المطلق وفناء الجزئي الخاص ، فطبيعة الانسان اذن هي ان يكون واسطة بين هذين الجانبين المتقابلين لابد له من وسيط يقوم بدور الوصل بينهما)[٥٦]. ويوضح ابن باجه الطبيعة الانسانية باعتبارها الواسطة وحلقة العمل بين السرمدية والفساد حيث يقول (ان طبيعة الانسان هي فيما يظهر كالواسطة بين تلك السرمدية ، وهذه الكاينة الفاسدة ، والامر في الانسان في هذه الحال على المجرى الطبيعي ، فأن الطبيعة لم تنتقل من جنس إلى جنس الا بمتوسط ، كما نجد ذلك في كل اجناس الجواهر الموجودة ، فأن في الموجودات موجوداً وسطاً بين

[٥٣]د. معن زيادة ، الحركة من الطبيعة إلى ما بعد الطبيعة ، ص١٣٢-١٣٣ .
[٥٤]ابن باجة ، تدبير المتوحد ، ص٩٨ .
[٥٥]د. معن زيادة ، الحركة من الطبيعة إلى ما بعد الطبيعة ، ص١٣٢ .
[٥٦]المصدر نفسه ، ص١٣٤ .

الجمادات والنبات لا يقدر الانسان ان يحكم عليه هل هو نبات او جماد . وكذلك بين جنس الحيوان وجنس النبات شيء هو وسط يأخذ من كل من بقسط)[٥٧].

والانسان انما هو انسان بالقوى الثلاث التي فيه وبها تقوم النفس الانسانية وهو (انما هو انسان بمجموعها ، ففيه القوة الغاذية ، وليس هذه يقبل صورتها . وفيه القوة الحساسة والخيالية والذاكرة ، وهذه كلها لا يقبل ذواتها ولا يلحقها وفيه القوة الناطقة وهذه الخاصة به)[٥٨].وابن باجه يرى "ان للانسان خلوداً في الدنيا على هيئة حسن الذكر". ويعتبر هذا الخلود الدنيوي الاساس للخلود الاخروي فقد يفعل الانسان الفضائل لينال خلود دنيوي وهو حسن الذكر وخلوده الاخروي وهو الاتصال بالعقل الفعال وهو النعيم المطلق ، ويعتقد ابن باجة ان سعادة النفس الانسانية هي في تحصيلها المعرفة في هذه الدنيا، فقرر ان (للنفس كمالات، وغايات ، لا تصل اليها الا بالعزلة العقلية عن المجتمع ، وليست العزلة الصوفية وحدها السبب في ذلك ، ان هذه النفس الانسانية لن تصل إلى كمالاتها التي تحقق لها السعادة في الاخرة ، في الحياة الخالدة ، إلا بترك العامة والعزلة عنهم لانهم يعرقلون التفكير ، ويدخلون الاذى على النفس ويعوقون تحصيلها من غداء المعرفة)[٥٩].

المطلب الثالث:السياسة والاخلاق في الفلسفة الجمالية عند ابن باجه

سبق أن ذكرنا بان فلسفة ابن باجه تقترب من الفارابي فهو يجعل غاية فلسفته السياسية والاخلاق العقلية وبهدف إلى تحقيق المدينة الفاضلة التي تتضمن أكبر قدر من الحكماء والفلاسفة ، أذ ان ابن باجه يجعل (تدبير المتوحد) على مثال تدبير الحكومة الكاملة ،فالحكومة الكاملة أو المدينة الفاضلة هي التي لا تحتاج إلى أطباء وقضاة لأن سكانها متحلون بالقناعة وعلاقتهم أي علاقة سكانها قائمة على المحبة التي تبعد كل الشجار وليس فيها مدع ولا مدعيا عليه وليس هناك من يقوم بعمال شاذة والحكومة الكاملة كفيلة بان يبلغ الفرد فيها أعلى درجة ممكنة من الجمال، هنا نلاحظ أن سمة الكمال التي أراد أن يضيفها

[٥٧]ابن باجة تدبير المتوحد ، ص١٢٥ .
[٥٨]المصدر نفسه ، ص١٢٦.
[٥٩]د. محمود عاطف العراقي ، الفلسفة الاسلامية ، ص٦٣ .

ابن باجه على مدينته الفاضلة تتمتع بجانب الذوق والجمال والحسن من خلال الحال سكانها للوصول إلى حياة سعيدة وهانئة، ثم بدأ ابن باجه في (تدبير المتوحد) تحليل الاعمال التي تقود إلى السعادة، وهي اعمال انسانية صادرة عن إرادة حرة وتفكير عميق، وهذه الاعمال تقسيمها ابن باجه إلى مراتب باختلاف موضوعها، فهناك أعمال غايتها صورة الجسد، كأعمال الشرب والاكل ومال ذلك لما يتعلق بكمال الجسد، وهناك اكمال تهدف إلى الصور الجزئية مما يرضي الحس المشترك والمخيلة والذاكرة ومما هو أعلى رتبة من كماليات الجسد كان يعتني الإنسان مثلاً بهيبته الخارجية دون الداخلية أو كان يحمل الإنسان سيفاً في وقت الحرب، هنا الاعمال عند ابن باجه قائمة على الاعمال الحسنة إذا لم تخرج من العقول من المعقول والاستفادة وهذه الاعمال تطلب في غايتها إلى السعادة.

للبحث في نظرية النفس والمعرفة التي أراد توضيحها ابن باجة في (رسالة الاتصال) نستخلص ما نبحث عنه من جانب جمالي أو فلسفة جمالية من خلال معرفة ما أراده ابن باجه في نظريته في النفس والمعرفة النفس من نظرية ابن باجه هي التي تجعل الإنسان واحدا بالعدد وان تغيرت أعراضه وانتقلت أحواله من جنين إلى طفل إلى شاب إلى كهل إلى شيخ فهي المحرك الأول (فإذا شاهده الحس في حال من الأحوال ثم شاهده في حال آخر بعيدة عنها لم يعلم هل هو ذلك الواحد أم لا، قبل أن يشاهد طفلاً ثم يشاهده شاباً فاذن حقيقة الانسان واحد لا يلحقه الحس بل إنما يلحقه قوة أخرى، فظاهر من هذا القول أن المحرك الأول ما دام بقاياً واحد بعينه كان ذلك الموجود واحداً بعينه)[٦٠] ،ويشير ابن باجه الى ان النفس تحرك بصنفين من الآلات،جسمانية وبالآلات روحانية والآلات الجسمانية منها ما هو صناعي ومنها ما هو طبيعي كاليد والرجل وهو يتقدم على الصناعي ومنها الآلات الطبيعية ما يسميه ابن باجه (الحار الغريزي) وهو (اله الالات على التحقيق والتقديم...وهو موجود لكل ذي دم... ويسمى الحار الغزيري... ومن جهة ما هو إلى القوة المحركة وهي صورته، وهي المحرك الأول بـ روحاً غريزياً)[٦١] ويستمر ابن باجه بقوله ان الإنسان ثلاثة محركات (كأنها مرتبة واحدة) (القوة الغاذية النزوعية، والقوة النامية الحسية، والقوة الخيالية،

[٦٠] رسالة الاتصال، الاهواني: ص١٠٤.
[٦١] المصدر نفسه، ص١٠٥-١٠٦.

والمحرك الأول من الانساني بالإطلاق هو العقل بالفعل وهو المعقول بالفعل فالعقل بالفعل هو قوة فاعلة وليس العقل وحده بل جميع الصور المحرك هي قوة مفاعل.

وهنا يشير ابن باجه ان العقل بالفعل هو (ثواب الله ونعمته على من يرضاه من عباده فلذلك ليس هو الثياب والمعاقب بل هو الثواب والنعمة على مجموع قوى النفس وإنما الثواب والعقاب للنفس النزوعية وهي الخاطئة والعصبية فمن أطاع الله وعمل ما يرضاه أثابه بهذا العقل وجعل له نوراً بين يديه يهتدي به، هنا نلاحظ أن ابن باجه تأثر بالموسيقى فقد جعل في تحريك النفس الالة تحركه هذه الاله قسمه إلى قسمين والانسان والنفس لبلوغ مبتغاها وهي العادة القائمة على الاعمال الاخلاقية هذه الاعمال التي تتضمن الجمال والخير والحق والحسن والثناء على صفات توجد في النفس الانسانية الكاملة[٦٢].

[٦٢] هنا الفاحوري، خليل الحر، تاريخ الفلسفة العربية، ٣٤٥/١ .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المباركة في ثنايا البحث أود أن أحط الرحال عند أهم مقاصد البحث وما توصل اليه من نتائج وكما يأتي:

١- يقوم الجمال على أساس النظام والتماثل والانسجام بين الأشياء، أو ربطه بالخير والمنفعة.

٢- اعتبر كثير من الفلاسفة الجمال صورة عقلية تنتمي لعالم المثل، في حين اعتبره آخرون نوعا من التآلف والنقاء والإشعاع والتوازن أن الجمال فلسفة أرقت الفلاسفة ردحا من الزمن ليس باليسير.

٣- الجمال عند فلاسفة الإسلام هو الجميل المطلق هو الله الذي هو في أزلية، وليس في عالم الزمان والمكان؛ لذلك فهو لا يتغير ولا يتبدل، وجماله مطلق وأزلي وأبدي، وغير خاضع للتغير وغير مرتبط بزمان أو مكان.

٤- ابرز اشكالية في فلسفة الجمال صادفها الفلاسفة تمثلت في الحديث عن طبيعة الجمال، هل الجمال هو وجود ذاتي او موضوعي، ولماذا هذا الاختلاف في الحكم على جمال الأشياء من قبل الراصد.

٥- يمكن القول بان الرؤية الجمالية الباجوية في فلسفة الجمال تنطلق من مسلمة اساسية هي ضرورة تحقيق الكمال في الشيء، ولم يكن من المستغرب أن يطرح الفكر الفلسفي العربي-الإسلامي في هذا الاطار مفهوم الإنسان الكامل؛ وهو الفكر الذي جعل من الكمال جوهرًا ومحورًا لمنظومته المعرفية والقيمية. ولم يكن من المستغرب أيضًا أن يرى في الإنسان الكامل مثلاً أعلى في الجلال والجمال، على الصعيد الإنساني. فكل المقدمات المنطقية كانت تؤدي إلى ذلك.

٦- على الرغم من أن ابن باجة يتوافق بعامةٍ وما طرحه الفارابي، إلا أنه، في نظرته إلى الإنسان الكامل، أقلُّ مثالية وطوباوية. فقد نظر ابن بأجه إلى مشروع الفارابي الحالم بعين الواقعية التي أملتها عليه أوضاع مجتمعه، فعاش حلم الماضي، حلم الفارابي، كحلمٍ للمستقبل ولكن بصورة أكثر كمالاً.

٧- يحدد ابن باجة طريقتين لبلوغ الخلود اولاهما تكمن في البحث في العقل او الصورة الروحانية والوصول إلى المفهومات الكلية المتأتية عن التعقل التي تؤدي بدورها إلى الخلود، اما الطريقة الثانية فهي نظرية الارتقاء بالنفس حتى تزول الحواجز بين الارض والسماء، وبين الهيولانية والروحانية من اجل بلوغ الانسان الخلود والوجود الدائم .

٨- يجعل ابن باجه غاية فلسفته السياسية والاخلاق العقلية في تحقيق السعادة التي هي جوهر الجمال وصولا الى حقيق المدينة الفاضلة التي تتضمن أكبر قدر من الحكماء والفلاسفة .

٩- خلاصة فلسفة ابن باجه في النفس تقوم على استكناه الجوانب الجمالية التي تجعل الإنسان واحدا بالعدد وان تغيرت أعراضه وانتقلت أحواله من جنين إلى طفل إلى شاب إلى كهل إلى شيخ فهي المحرك الأول فهي حقيقة واحدة وبالنظر لتلك الجزئية يتيقن الانسان حقيقة الثبات وان الثابت هو ما يستحق أن نسبغ عليه مصطلح الجمال لا المتغير والافل والزائل.

١٠- يشير ابن باجه الى ان العقل بالفعل هو ثواب الله ونعمته على من يرضاه من عباده فلذلك ليس هو المثاب والمعاقب بل هو الثواب والنعمة على مجموع قوى النفس وإنما الثواب والعقاب للنفس النزوعية وهي الخاطئة والمصيبة فمن أطاع الله وعمل ما يرضاه أثابه بهذا العقل وجعل له نوراً بين يديه يهتدي به.

المصادر

١) ابو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي ،المخصص .تحقيق – مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي ، بيروت١٩٩٦ .

٢) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة .تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩.

٣) أبو الفضل محمد بن مكرم بن على ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ،١٩٨٤.

٤) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة . المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين ، بيروت ،١٩٨٧.

٥) أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ بن باجة ، تدبير المتوحد ، معن زيادة. دار الفكر الاسلامي،بيروت، ١٩٧٨.

٦) أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ بن باجة، رسائل ابن باجة الإلهية، تحقيق ماجد فخري، دار النهار، بيروت، ١٩٦٨.

٧) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي , معارج القدس في مدارج معرفة النفس , دار الآفاق الجديدة,بيروت ١٩٨٠ .

٨) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، احياء علوم الدين ، دار المعرفة ،بيروت،٢٠١٠.

٩) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، ميزان العمل . حققه وقدم له: الدكتور سليمان دنيا ، دار المعارف، مصر ، ١٩٦٤ .

١٠)أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، مشكاة الانوار , حققها وقدم له: الدكتور أبو العلا عفيفي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة٢٠١٠.

١١)أبو حامد محمد بن محمدالغزالي , الاقتصاد في الاعتقاد , تحقيق الدكتور ابراهيم اكاه جوبوقجي والدكتور حسين اتاي ،نشره نور مطبعاسي بجامعة آنقرة ، ١٩٦٢.

١٢)ابو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري ،تهذيب اللغة , تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتاب المصري. ١٩٦٧ .

١٣)افلاطون , جمهورية افلاطون ,ترجمة حنا خباز، دار القلم , بيروت ،١٩٨٠.

١٤)افلاطون , فيدون, ضمن محاورات افلاطون .ترجمة زكي نجيب,القاهرة ،١٩٦٦.

١٥)اميرة حلمي مطر .فلسفة الجمال ،المكتبة الثقافية. القاهرة ،١٩٦٢.

١٦)ابو نصر محمد الفارابي , اراء اهل المدينة الفاضلة , تحقيق الدكتور البير نصري نادر , مطبعة التقدم، القاهرة، ١٩٧٣.
١٧)توفيق الطويل، اسس الفلسفة ،دار النهظة العربية، القاهرة(د،ت).
١٨)الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين , المحقق: عبد الحميد هنداوي; دار الكتب العلمية; بيروت ،٢٠٠٣.
١٩) علي شلق ,الفن والجمال, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،١٩٨٢.
٢٠)مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٢١)عبدالحسن حسن خلف , القيم الجمالية في الشعر العربي قبل الإسلام , رسالة ماجستير في اللغة العربية , كلية الاداب جامعة بغداد , ١٩٨٣,
٢٢)علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني،التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ،١٩٨٣.
٢٣)م.اوفيسناكوف وسمير نوفا . موجز تاريخ النظريات الجمالية ,تعريب باسم السقا دار الفارابي, بيروت ،١٩٧٩.
٢٤)محمد عابد الجابري، نحن والتراث، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٥.
٢٥)محمد علي التهانوي ,كشاف اصطلاحات الفنون,.تحقيق الدكتور لطفي عبدالبديع ،مطبعة الحلبي ،القاهرة، ١٩٦٣.
٢٦)محمد غلاب ، الفلسفة الإسلامية في المغرب ، جمعية الثقافة الاسلامية،القاهرة، ١٩٤٨.
٢٧)محمود عاطف العراقي ، الفلسفة الإسلامية ،دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٨ .
٢٨)معن زيادة ، الحركة من الطبيعة إلى ما بعد الطبيعة ، دار اقرأ،بيروت،١٩٨٤.
٢٩)هنا الفاحوري، خليل الحر، تاريخ الفلسفة العربية، دار المعارف، بيروت، ١٩٨٠.
٣٠)هيجل , فكرة الجمال . ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة،بيروت، ١٩٧٨.

ملخص

إن البحث عن الموجودات بما هي كذلك هو بحث فلسفي بامتياز، وأن التشبه بالإله بقدر الطاقة البشرية هو عين الحقيقة الفلسفية التي رام المفكرون جميعا الوصول إليها، وأن المعايير الجمالية التي طرحتها الفلسفة الإسلامية تمثل منبعا ثرّاً اتخذ بعداً كوسمولوجيا لا يستثني نتاجات الفكر الاسلامي الذي اتخذ في الأغلب الصياغة الإبداعية للملفوظ والمكتوب المتجسد في النص القرآني بوصفه منجزا إبداعيا للخالق عز وجل، لقد كان الجمال عند فلاسفة الإسلام يتمثل في ما أسموه بالجميل المطلق وهو الله الذي هو في أزلية، وليس في عالم الزمان والمكان؛ لذلك فهو لا يتغير ولا يتبدل، وجماله مطلق وأزلي وأبدي، وغير خاضع للتغير وغير مرتبط بزمان أو مكان. ولعل ابرز اشكالية في جدلية فلسفة الجمال صادفها الفلاسفة تمثلت في الحديث عن طبيعة الجمال، هل الجمال هو وجود ذاتي او موضوعي، ولماذا هذا الاختلاف في الحكم على جمال الأشياء من قبل الراصد. ويمكن القول بان الرؤية الجماليةالباجوية في فلسفة الجمال تنطلق من مسلمة اساسية هي ضرورة تحقيق الكمال في الشيء، ولم يكن من المستغرب أن يطرح الفكر العربي–الإسلامي في هذا الاطار مفهوم الإنسان الكامل؛ وهو الفكر الذي جعل من الكمال جوهرًا ومحورًا لمنظومته المعرفية والقيمية. ولم يكن من المستغرب أيضًا أن يرى في الإنسان الكامل مثلاً أعلى في الجلال والجمال، على الصعيد الإنساني. فكل المقدمات المنطقية كانت تؤدي إلى ذلك. وخلاصة فلسفة ابن باجه في النفس تقوم على استكناه الجوانب الجمالية التي تجعل الإنسان واحدا بالعدد وان تغيرت أعراضه وانتقلت أحواله من جنين إلى طفل إلى شاب إلى كهل إلى شيخ فهي المحرك الأول فهي حقيقة واحدة وبالنظر لتلك الجزئية يتيقن الانسان حقيقة الثبات وان الثابت هو ما يستحق أن نسبغ عليه مصطلح الجمال لا المتغير والافل والزائل.

Abstract

The search for assets as such is a philosophical research excellence, and that the likeness of God as much as human energy is the eye of the philosophical truth that all thinkers reach, and that the aesthetic standards presented by Islamic philosophy represent a source of wealth took a cosmological dimension does not exclude the outputs of Islamic thought, The most creative formulation of the written and written text embodied in the Qur'anic text as an innovative achievement of the Creator Almighty, was the beauty of the philosophers of Islam is what they called the absolute Almighty God, who is in eternal, not in the world of time and space; so it does not change and does not change, Its beauty is absolute, eternal and eternal, and is not subject to change and is not linked to time or place. Perhaps the most prominent problem in the dialectical philosophy of beauty encountered by philosophers was to talk about the nature of beauty, whether beauty is a subjective or objective existence, and why this difference in the judgment on the beauty of things by the observer. It can be said that the aesthetic vision is AlbajojIn the philosophy of beauty stems from the basic Muslim is the need to achieve perfection in the thing, and it was not surprising that the Arab-Islamic thought in this context the concept of the full man; a thought that made the perfection and essence of the system of knowledge and value. It was also not surprising to see in the whole human being a higher example of beauty and beauty, on the human level. All logical premises have led to this. The conclusion of IbnBajah's philosophy in the soul is based on its aesthetic aspects that make man one by number and that his symptoms have changed and his condition has changed from embryo to child to young to old to old, she is the first engine is one fact and given that part, The term "beauty" does not mean the variable, the idle and the elusive

Controversy of the philosophy of beauty when IbnBajah Intellectual approaches

. Dr.. Ammar Bassem Saleh